مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:02 (نوفمبر2024) ص 83– 96
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

التداخل بين علم الإعراب وعلوم اللغة في إعراب النص القرآني

The intersection between the science of grammatical analysis and language sciences in the grammatical interpretation of the Qur'anic text

عبد الرؤوف عباس[1]
Abderraouf abbas[1]
1 جامعة الوادي (الجزائر)، abbas-abderraouf@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/11	تاريخ القبول: 2024/09/27	تاريخ النشر: 2024/11/28

الملخص: النظر في مؤلفات إعراب النص القرآني يبيّن اشتراك جملة من العلوم النصية اللغوية كالصرف والبلاغة والمعجم والدلالة وغيرها في إعراب النص القرآني، مما يجعل من إعراب القرآن الكريم محطة نصية تجمع جهود علماء اللغة في هذا العلم، فيرمي هذا المقال للكشف عن أبرز أوجه التداخل بينها، وتوضيح فكرة التكامل بين العلوم اللغوية وغير اللغوية كما يظهر في نظرية الإعراب.

يرمي البحث لرصد محدّدات علمية تؤصّل لمواضع التداخل بين علوم اللغة والإعراب، ثمّ كيف يمكن الاستفادة من هذه المحدّدات في إثراء المعرفة التداولية لهذه العلوم، فتقدّم وجها من البحث اللغوي لو أُعطي حقّه من الاهتمام لكان وجه علوم اللغة العربية اليوم غير ما هو عليه.

كلمات مفتاحية: علم الإعراب، علوم اللغة، إعراب القرآن، التداخل، الإنجازات الكلامية

Abstract

Qur'anic text reveals the involvement of several linguistic disciplines, such as morphology, rhetoric, lexicon, semantics, and others, in the analysis of the Qur'anic text. This makes the grammatical analysis of the Holy Qur'an a convergence point that combines the efforts of language scholars in this science. This article addresses the most prominent intersections among them and clarifies the idea of integration between linguistic and non-linguistic sciences as evident in the theory of grammatical analysis.

The research aims to specify scientific determinants that lead to the intersections between language sciences and grammatical analysis and how to benefit from these determinants to enrich the pragmatic knowledge of these sciences. It presents an aspect of linguistic research which, if given its due attention, would have changed the face of Arabic language sciences today.

Keywords: (Grammatical science; Language sciences; Grammatical analysis of the Qur'an; Intersection; Verbal achievements.

المؤلف المرسل: عبد الرؤوف عباس، **الإيميل**: adabiyatlissan@gmail.com

1. مقدمة :

لفظ (إعراب) وثيق الصلة بمصطلحات وكلمات أخرى كالعربية والعرب، أدى ذلك لتشتّت آفاق البحث في هذا المصطلح العلمي، خاصة في النصوص القديمة للدارسين، ووسّع ذلك أكثر تمازجه مع مصطلح: "علم الإعراب"، كما أدى لإبهام الدلالة الاصطلاحية: تداخله مع "علم النحو" لاختصاصه بالتحليل ذي الآلية النحوية، فما الدلالة التي يؤديها مصطلح الإعراب في مؤلفات إعراب القرآن الكريم بتداخله مع هذه العلوم؟ وما أوجه التداخل بينها؟، وهل يمكن رصد محدّدات علمية تؤصّل لمواضع هذا التداخل؟

الفرضية والمنهج والخطة:

يفترض في علم الإعراب معالجة الوظيفة التواصلية المنوطة بالكلام، وإذا علمنا أنّ علم إعراب النص القرآني يدرس نصا حضاريا له أبعاد علمية تاريخية ساهمت في ظهور علوم لغوية كثيرة، يزيد من احتمالية احتوائها ضمن إعراب النص القرآني. وذلك في سياق التقاطعات اللسانية بين علم الإعراب وعلوم اللغة ضمن: "ما تقدّمه معطيات التحليل الإعرابي في علم إعراب القرآن الكريم"، ليدرس البحث هذه الفكرة ضمن مبحثين أساسين موظفا المنهج الوصفي التحليلي:

المبحث الأول: يعالج علم الإعراب وعلاقاته النصية في إعراب القرآن الكريم.

والمبحث الثاني: يتناول العلاقات الرابطة بين علم الإعراب وعلوم اللغة الأخرى ضمن علم إعراب النص القرآني ومؤلفاته.

وما يهدف إليه البحث هو الوقوف على تصوّر علمي يمكن أن يوضح حقيقة الإعراب في إطار نظريات البحث العلمي اللسانية، ويخرجه من انحصاره في دائرة الإعراب الجدولي المتشكل من: الكلمة/ إعرابها.

2. علم الإعراب وعلاقاته النصية في إعراب القرآن الكريم:

1.2 علم الإعراب:

علم الإعراب في مساره التاريخي اتّخذ استعمالات مختلفة، لكنّها لم تخرج عن: البيان والتطبيق والتركيب والإعراب الظاهرة، وتعتبر مؤلفات إعراب القرآن الكريم من أهم الدراسات التاريخية التي عالجت هذا العلم.

وعندما نتكلّم عن كتب إعراب القرآن الكريم فإنّنا نتكلم عن مؤلّفات تفسّر وتوضّح وتبيّن النص القرآني، فقد أخذت هذه الدراسات تسمية إعراب القرآن من معناها اللّغوي؛ حيث تتوزّع مادة "عرب" في المعاجم اللغوية العربية على ثلاثة أصول: الإبانة والإفصاح والتغيير: (ابن فارس، 1979، صفحة 299/4) .

. الإبانة والوضوح: الإعراب الإبانة والإفصاح عن الشيء، فعرّبت له الكلام تعريبا، وأعربته له إعرابا، إذا بيّنته له حتى لا يكون فيه حضرمة؛ أي: اللحن ومخلفة الإعراب (ابن فارس، 1979، صفحة 146/2).

. التغيير: عربت معدته فسدت (الفيروز آبادي، 2003، صفحة 105/1)، والعلاقة بين التغيير والبيان والوضوح جليّة لأنّ البيان يحصل من التغيير.

. التحسين والإجادة: وهو الإظهار والتوضيح خاصة فيما يشتبه ويلتبس من الكلام، وهذا مشتق من معنى: العَروب، قال القرطبي: «واشتقاقه من أعرب إذا بيّن، فالعَرُوب تبيّن محبّتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام» (القرطبي، 2006، صفحة 199/20)، وهذا يدلّ على أنّه امتداد دلالي للمعنى الأوّل الذي هو الإبانة والوضوح، لأنّ الكلام يتمّ تحسينه وإجادته بعد تبيينه وتوضيحه.

2.2 مصطلح الإعراب في كتاب سيبويه:

لم يضع سيبويه تعريفا لمصطلح الإعراب، لكن يتبيّن داخل سياق التحليل النّحوي في الكتاب، حيث جاء في كتاب سيبويه كلامه عن "أمس" قائلا: «كسروه كما كسروا غاق، إذا كانت الحركة تدخله لغير إعراب، كما أنّ حركة غاق لغير إعراب» (سيبويه، 1988، صفحة 283/3)، هذا الكلام يشير إلى مفهوم الإعراب بمقابلته للبناء وبتعلّقه بالعامل، وما رسمه سيبويه بتبويباته الأولى حول مواضع الإعراب ومجاري أواخر الكلم في الكتاب وضع لمن جاء بعده سنة في التأليف (سيبويه، 1988، صفحة 13/1)، فجاءت أكثر المؤلفات في هذا العلم تصنّف محتواها العلمي وفق مجاري أنواع الإعراب التي حدها سيبويه، ليتأخّر تعريف هذا المصطلح إلى مرحلة النضج النّحوي التي مثّلها علماء القرن الرابع من شُرّاح الكتاب، من أمثال: أبي الحسن الرماني، وأبي سعيد السيرفي، وأبي علي الفارسي، يقول الرماني: «الإعراب تغيير آخر الكلمة بعامل، والبناء لزوم آخر الكلمة لسكون أو حركة، وقسمة الإعراب على أربعة أوجه: رفع ونصب وجر وجزم، وقسمة البناء على أربعة أوجه: ضم وكسر وفتح ووقف، وحرف الإعراب ما فيه إعراب عند سيبويه» (محمد إبراهيم، 1994، صفحة 111/1)، كما أنشأ نحاة آخرون مباحث في العلاقة بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية للإعراب محاولة للكشف عن سبب اختيار هذا المصطلح دون غيره.

3.2 الإعراب التحليلي وإعراب القرآن الكريم:

بدءًا من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ظهر العمل الإعرابي جليا عند أبي علي الفارسي(ت377هـ)، وله مؤلفات تهتم بالمشكلات النّحوية والإعراب كالمسائل البغدادية والبصرية، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب، وله مؤلّف كبير: "الحجة للقراء السبعة" يهتم بتوجيه قراءات الأئمة السبعة الذين

اختارهم أبو بكر ابن مجاهد، حيث بيّن كتابه التحليل الإعرابي للأوجه المقروء بها، ثم يأتي أبو الفتح عثمان ابن جني(ت392هـ) حيث عقد في كتابه "الخصائص" فصولا نظرية عن الممارسة الإعرابية في العلاقة بين الإعراب والمعنى من جهة والعلاقة بين الأعاريب بعضها ببعض من جهة أخرى.

ثم توسّع الإعراب التطبيقي وداخل تخصصات مختلفة مما أدى إلى الاختلاف في اتجاهات الممارسة الإعرابية: فتارة تعتبرها مقصدا بيانيا، وتعتبرها تارة أخرى آلة من آلات التحليل، وأصبحت الدلالات المعبّر عنها بمصطلح "الإعراب" تتداخل في سياقات مختلفة، ولا سيما أن يُفهم السياق الواحد بأكثر من طريقة ما دامت هذه الدلالات متداخلة ومتلازمة، وبهذا ظهر الإعراب التحليلي: حيث ارتبط مصطلح الإعراب بدلالة جديدة تجمع بين الكلام والنص، حين استُعمل مصطلح (إعراب القرآن) منذ مطلع القرن الثالث الهجري، وهذه أهم مؤلفاته: (ابن النديم، 1997، صفحة 248)

- إعراب القرآن، لأبي علي محمد بن المستنير المشهور بقطرب (ت206هـ)
- إعراب القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى الشيباني(ت210هـ)
- إعراب القرآن، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت250هـ)
- إعراب القرآن، لابن قتيبة الدينوري(ت276هـ)
- إعراب القرآن، لأبي العباس المبرد(ت285هـ)
- إعراب القرآن، لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب(ت291هـ)

وهي مؤلفات مفقودة اليوم، لكن أقدم ما وصلنا من مؤلفات استعملت مصطلح: إعراب القرآن، نجد: "معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (ت311هـ)، ثم إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس(ت338هـ)

وهي مؤلفات في علم إعراب القرآن تمزج بين الإعراب تسبقه المباحث الصوتية والصرفية والدلالية والبلاغية، كما في كتاب: "البيان في إعراب غريب القرآن" لابن الأنباري، و"التبيان في إعراب القرآن" لأبي البقاء العكبري، وكتابه أيضا: " إعراب القراءات الشواذ"، وغيرها.

4.2 البعد التداولي لعلم الإعراب واستقلاليته عن علم النّحو:

علم الإعراب مستقل عن علم النحو ولا يتصل به إلا بقدر ما يتصل الصّرف بالنّحو أو البلاغة بالنّحو، فهي علوم تدرس موضوعا واحدا هو "الكلام" وإن اختلفت تصوراتها لذات الموضوع وطرق تحليلها، يقول السيوطي: «فإنّ هذا الكتاب موضوع في علم الإعراب بالمعنى المذكور، لا في علم النّحو، والفرق بين موضوع علم النّحو وموضوع علم الإعراب بالمعنى المذكور لا يخفى» (السيوطي، دون تاريخ، صفحة ورقة1)، ثم يقول: «ولا شك أنّ

الإعراب بالمعنى المذكور أخص من مطلق النّحو، وهو الأصل في إيضاح معنى القرآن والحديث، ومطلق النّحو بالنسبة إليه كالوسيلة والتوطئة، وذلك هو المقصود منه» (السيوطي، دون تاريخ، صفحة ورقة 2).

ويرى أحمد بلحوت أنّ علم الإعراب أصول تهتم ببيان حدود اللفظة وأشكالها اللغوية، وعملها، وفئاتها ، وروابطها المفهومية والإعرابية في شكل متداخل ومتكامل، ومجموع هذه التداخلات تشكّل مستوى تحليليا مركبا هو المستوى الإعرابي، حيث يقول: «إنّ الإعراب يتناول اللّفظ والمعنى والمتكلم، ويحدّ أوصاف الكلام فيما جرى للفظ من معنى في مقصود المتكلّم لأنّ اللفظ حمل له، ومن مرجعياته المنهجية تناول اللفظ والمعنى وأغراض المتكلم، لأنه علم بيان تفسير الكلام» (بلحوت، 2004، صفحة 517) ، يدل هذا التعريف أنّ علم الإعراب يتضمّن ثلاثة أصول مهمة:

أولا: **البيان:** لأنّه علم يعتمد قياس الشاهد على الغائب في دراسة الكلام كما هو الشأن في الدراسات النّحوية أو الصرفية أو البلاغية.

ثانيا: **التأويل والشرح:** غاية علم الإعراب شرح موضوع الكلام وفق المقصد النّحوي، أي هو: علم بيان التفسير النّحوي للكلام، وعناصر دورة الخطاب حاضرة في هذا التفسير بالتناسب، أما علم النّحو فيركز على عنصري الرسالة والوضع.

ثالثا: **الانتماء للسانيات الكلام:** أي هو علم يندرج في لسانيات الكلام، أي يهتم بالجانب الاستعمالي للغة فينطلق من الكلام موضوعا للدراسة في نفسه ولنفسه ابتداء من ملفوظه وانتهاء إلى المعطيات الإعرابية المساهمة في بناء معناه، بخلاف لسانيات اللّغة أو البنوية التي تنطلق من الكلام لتصل إلى اللسان، فكان علم الإعراب أقرب إلى اللسانيات التداولية منه إلى اللسانيات البنوية.

يقول أحمد بلحوت: «تظهر عملية ممارسة إعراب النّص أو الكلام بنفس الشكل، ونفس المضمون في المراحل التاريخية المختلفة لمعالجة الكلام؛ لأنّ الإعراب يتضمن آليات واحدة: منها: اسم فئة الوحدة، واسم وظيفتها، ووصف هيئة حركتها، وما لها من الاستقرار في الموضع أو عدم استقرارها فيه» (بلحوت، 2004، صفحة 200)، فعلم الإعراب يلمّ أبعادا متعددة على مستويات متباينة، فمن أبعاده بيان صحة الكلام نحويا، كما يهدف لتوضيح المغزى الذي يسهم به المستوى التركيبي في بناء المعنى العام للكلام.

5.2 البعد التحليلي لعلم الإعراب في إعراب النص القرآني:

هل الإعراب في: "إعراب النص القرآني" هو التحقق من نحوية العبارة المعربة، أم هو التوصّل إلى دلالة العبارة عن طريق الدلالة اللغوية المستخرجة بالإعراب؟ أم هو اجتماع الغايتين: اختبار القواعد واختبار النص الذي هو مصدر القواعد في الفكر النحوي العربي؟.

ظلّ الإعراب عملية رقابية على نتاج التقعيد النّحوي من خلال مراقبة صحة تطبيق القواعد النحوية على الكلام، فلا نستغرب أن كانت أولى النصوص العربية موضوعا لكتب الإعراب هي: القرآن الكريم والمعلقات السبع، بمعنى النصوص الفصيحة التي تمثّل معيار الفصاحة، وعليه فبمقدار ما تبرهن القواعد النحوية قدرتها في البيان تقل الحاجة إلى هذه العملية الرقابية ليتحوّل هدف علم الإعراب إلى التّفسير النّحوي **للإنجازات الكلامية** المختلفة وبيان وجه التحاقها بنظام العربية. وبهذا عرّف يوسف العيساوي إعراب القرآن الكريم، بقوله: «فإعراب القرآن هو علم يبحث في تخريج تراكيبه على القواعد النحوية المحررة» (العيساوي، 2007، صفحة 27) والنظر في هذا القول يجعل اهتمامنا يتجه إلى: (تخريج التراكيب على قواعد النحو)، أما اشتراط التحرير في القواعد فصلته بالنص القرآني هي اتقاء تخريج النص القرآني على الأوجه الضعيفة والشاذة.

6.2 الحضور التداولي في علم إعراب النص القرآني:

في كتب إعراب القرآن الكريم نجد الجوانب التفسيرية والتداولية للنص قيد التحليل حاضرة محاطة بمعايير خطابية تداولية قوية جدا، حيث ربط المعربون في مقدمات كتبهم بين الإعراب وفهم القرآن الكريم، وبالمقابل لا نجد عندهم ربطا بين الإعراب والغاية العلمية أو التعليمية للإعراب، و من الواضح أنّ هذا الاتجاه في الإعراب بهذا المعنى اختفى تدريجيا من كتب النّحو في القرون المتأخرة عن القرن الرابع، إلا ما يستثنى من بعض الدراسات التي جمعت بين البحث النّحوي والممارسة الإعرابية، وتجاوزت تحليلاتها الإعرابية مجرد التطبيق التعليمي.

ويتبيّن من مصنفات علم الإعراب التراثية أنّ ما عليه الاعتماد في التحليل الإعرابي من علوم اللغة الأساسية خمسة، نص عليها السمين الحلبي في سياق كلامه عما يجب أن يتصف به عالم القرآن، يقول: «.. فيطلع من علومه على أهمها وآكدها، وهي بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم: علم الإعراب، وعلم التصريف، وعلم اللغة وعلم المعاني، وعلم البيان» (السمين الحلبي، دون تاريخ، صفحة 4/1)، يرى السمين الحلبي أن هذه العلوم أكثر قربا بعضها من بعض من العلوم الأخرى، وهو ما يعنينا من تقارب العلوم اللغوية في إطار علم الإعراب، ويقول: «ورأيت هذه العلوم الخمسة متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض، لا يحصل للناظر في بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها، فإنّ من عرف كون هذا فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ مثلا ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا

كيف موقعه من النظم لم يحلُ بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها» (السمين الحلبي، دون تاريخ، صفحة 4/1).

هذه العلوم متداخلة لا ينفك بعضها عن بعض في معالجة النص القرآني، لأنّها وُلدت في رحم واحدة، أئمة العربية هم أنفسهم أئمة الحديث والتفسير والقراءات، لو نذكر أبا عمرو بن العلاء النحوي سنجده أحد القراء السبعة، ولو نذكر أبا الحسن الكسائي سنجده كذلك، وهو رأس الكوفة في زمانه في النّحو، مما جعل علوم العربية ذات سبب ونسب، ولا يمكن أن ينظر إليها بصورة مجتزأة في دراسة النص القرآني الذي كان دافعها الأوّل.

3. مباحث علاقات علم الإعراب وعلوم اللغة في إعراب النص القرآني:

بنيت علوم اللغة على دراسة الكلام، وعلم الإعراب يتعامل مع الكلام، لذا كانت العلوم التي تدرس الكلام كلها موارد لعلم الإعراب، لكن حضور بعضها بالنسبة إلى بعض يحتكم إلى قربها أو بعدها من المستوى النحوي، وأوّلها علم اللسان الذي صار يلم بمستويات الكلام القريبة والبعيدة.

1.3 الإعراب واللسانيات:

في الوقت الراهن أصبح الاهتمام بالتقنية الإعرابية له ارتباط بالتحوّل في مسار البحث اللساني من لسانيات اللغة إلى لسانيات الكلام، حيث بدأ الاهتمام بالبعد التواصلي كما في التداوليات وعلم النص وتحليل الخطاب، مما وسع دائرة الاشتغال على الحدث الكلامي من حيث هو انجاز فردي وشكل تواصلي منجز في سياق متفاعل معه، وهذا التطور اللساني لفت انتباه الدارسين العرب إلى أهمية العمل الإعرابي من خلال مقاربة الكلام في خصائصه التي لم تكشف عنها البنوية، فعلم الإعراب يهدف لدراسة النص من خلال اللغة، واللغة وسيلة لفهم النص، وهنا فارق علم الإعراب اللسانيات البنوية، بوصفها دراسة للغة في ذاتها ولذاتها؛ حيث جمع كل المستويات التي فرّقتها الدراسة البنوية للغة.

وفصل المستويات اللغوية لم ينشأ عن اعتقاد أنها مستويات تعمل بشكل مستقل بعضها عن بعض، فيعمل علم الإعراب على إدماج توصيفات ترجع إلى مستويات مختلفة من الوصف اللغوي كتحليل الخطاب الذي يشكل نموذجا مركبا من عدة نظريات سبقته في تحليل العمل الأدبي كالبنوية والسيميائيات والسرديات والتداوليات ولسانيات النص، وهذا الذي تعمل عليه اللسانيات الحديثة يطابق ما كانت عليه الدراسات الإعرابية في علم إعراب القرآن الكريم؛ حيث يعمل علم الإعراب على جمع ما تفرّق من علوم العربية بتطبيقها بصفة متكاملة في إعادة تفسير الظاهرة اللغوية التي منها تأسست، وهذا يظهر جليا عند علماء إعراب النص القرآني وتفسيره (السمين الحلبي، دون تاريخ، صفحة 4/1).

2.3 الإعراب والمستوى الصرفي:

الموضع المعرب في النص القرآني يتطلّب جملة من الاحتمالات النظرية قبل الحصول على الصيغة النهائية للإعراب، تمثل أطوارا علمية تدريجية تنتمي لمجالات لغوية متنوعة: نحوية وصّرفية ودلالية، فيها يتعامل المعرب مع جملة اختبارات الملاءمة الممكنة لهدف الحصول على الصيغة الإعرابية المناسبة، وهذا لغايات:

أولا. حجاجية: وذلك باستقراء الاحتمالات اللغوية الممكنة: الصرفية والنحوية والدلالية الواردة عن قُرب في معالجة مسألة معينة، وبحصول انتفاء شرط من شروط الملاءمة النحوية أو الصرفية أو الدلالية يكون المُعرب قد أثبت عدم الملاءمة، ومن ثمة دفع الاعتراض الموجّه بعدم الاستقراء.

ثانيا. تعليمية: بعرض طرق الاختبار الممكنة، والتنبيه إلى أهمية استبطان المعرب واستحضاره مجمل المعارف التي تُنتقد من خلالها هذه الإمكانات.

ثالثا. علمية: بناء على فهم الإمكانات اللغوية التي اقتضتها الغايات السابقة يختار المُعرب اختيار الصياغة النهائية، ويستبعد أوجها أخرى لا تتحقق فيها شروط الملاءمة لتبقى مجال بحث.

1.2.3 الإعراب وعلم الصرف:

الصرف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب (ابن الحاجب، 1984، صفحة 9/1) ، أي هو بحث في بُنى الكلم وهيئاتها، ونظر في الأصول والزيادات من إعلال وإبدال وحذف وقلب، فتُدرج الوحدة الإعرابية صرفيا حسب نوعها: (اسم، فعل، حرف) ، وجنسها (مذكر، مؤنث)، وعددها (مفرد، مثنى، جمع)، ثم تتميّز حسب المُحدّدات التركيبية كالعلامة الإعرابية والموضع في مدرج الكلام وعلاقاتها بعضها ببعض، لذا نص السيوطي في الإتقان على ضرورة التحليل الصرفي في إعراب القرآن الكريم فقال: «على الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأً أو خبرًا أو فاعلا أو مفعولا، أو في مبادئ الكلام، أو في جوابه» (السيوطي، 2005، صفحة 1220/4)، لذا يمكن بحث أوجه التقارب بين علم الصرف وعلم الإعراب في جهات: الصيغ الصرفية المعجمية التي تحمل دلالة وضعية، حيث تشكل سمة دلالية معجمية، كصيغة اسم الفاعل، واسم المفعول، والمبالغة، والتفضيل، وأوزان الجموع وما كان منها للقلة أو الكثرة، والمفرد والجمع اللذين ترتبط بهما الإحالة الضميرية فتنتقل من صيغة صرفية إلى سمة دلالية نحوية.

والمعرب يعالج الكلام بدءا من معرفته باللغة، أي اعتمادا على ملكة اللساني، وهي ملكة مستندة إلى حدود الكلمات في علم النحو، وحد الكلمة هو مجموع العلامات المميزة لها في الجنس الكلمي (الحاج صالح، 2007، صفحة 219/1)، والعلامات المميزة لها في أقل مستويات التقسيم كالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث.

2.2.3 مثال تطبيقي لتداخل المستوى الصرفي مع التحليل الإعرابي في إعراب النص القرآني:

– قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة، من آية:282]

لما كان علم التصريف يتداخل مع التحليل الإعرابي في: ـ تعيين حدود الوحدات المعربة، ـ تعيين الجنس والعدد، ـ تعيين الصيغ ذات الطبيعة الصرفية النحوية، كالمشتقات العاملة، وأبواب الأفعال ذات التعدي أو اللزوم، مسائل الإعلال والإبدال والقلب المؤدية للتداخل البنوي، جاء هذا المثال لتوضيحها عمليا وتطبيقيا من خلال تحليل أعمال المعربين في إعراب النص القرآني، والتي توضح أوجه التداخل بين علم الصرف وعلم الإعراب بما يشكل مادة فاعلة في الشق التواصلي للغة، وعتبة مهمة يمرّ عبرها التصور الأوّلي للنظام الإعرابي.

(يُضارّ) فعل يتّخذ بنيتين محتملتين: (يُضارِر)، أو(يُضارَر)، وهذا يحدث تداخلا على المستوى الصرفي: في الفعل (يُضارّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، يقول ابن الأنباري: «يجوز أن يكون الكاتب والشّهيد فاعلين ليُضارّ، فيكون أصله: بكسر الراء الأولى، وأن يكونا مفعولين لما لم يسم فاعله، فيكون أصله: يُضارَر بفتحها، فأدغمت الراء الأولى في الثانية على ما قدمنا في قوله تعالى: (لا تضارّ والدة)، والأحسن أن يكونا فاعلين لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ يخاطب الكتاب والشهود» (ابن الأنباري، دون تاريخ، صفحة 165/1)، فالفعل احتمل بنيتين صرفيتين(يُضارِر) و(يُضارَر) تخرَّج على كل بنية وجه إعرابي، ثمّ يتدخّل السياق النصي لترجيح أحد الأوجه المخرَّجة مما يثبت تداخل معطيات مختلفة في هذا العلم.

في ضوء هذا المثال يمكن استخراج العديد من الأمثلة والسياقات في كتب علم إعراب القرآن لتمكّننا من تحديد جملة من المحدّدات العلمية التي تؤسّس للتكامل المعرفي بين العلمين ومن ثمة الاستفادة منها علميا وتعليميا، ومنها: قوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[سورة الليل، آية14] ، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [سورة البقرة ، من آية23] ، وغيرها من الأمثلة.

3. 3 المدخل المعجمي الدلالي وعلاقاته الإعرابية في إعراب النص القرآني:

1.3.3 العلاقة الإعرابية المعجمية والدلالية:

تتحدّد العلاقات الإعرابية تدريجيا، فينطلق المعرب من تأسيس البنية الدلالية المعتمدة على العلاقات المعجمية قبل الشروع في بيان العلاقات النحوية في بنية النص الإعرابي، وتتشكّل الوحدة الإعرابية انطلاقا من المدخل المعجمي الدلالي، بما يشكل الوحدة الدلالية، ويحصل التفسير الإعرابي بالربط بين الجانب اللفظي والمعنوي، بحيث تسمح به المواضعة التركيبية للغة والمواضعة الدلالية، فإذا حصلت المطابقة بين الجانبين يكون المعرب قد وصل إلى وجه الإعراب، وإن تعطّلت إحدى الجهتين وقع المعرب في إحدى جهتي الاعتراض.

وقد يرافق التخريج الإعرابي التعضيد النصي، فمثلا ابن هشام (ابن هشام ، 2000، صفحة 17/6)، يخرّج إعراب كلمة: "مائة" في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [سورة البقرة: من آية: الآية 259] بالاستناد إلى المستوى الدلالي، وشرح معنى "أماته" بـ: "ألبثه"، ثم بتعضيد نصي بالرجوع إلى بقية النص حيث يعضد بعضه بعضا، حيث أُسند هذا الفعل صريحا إلى "عزير في قوله تعالى: ﴿قالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [سورة البقرة: من آية259] .

2.3.3 مثال تطبيقي لاستناد التحليل الإعرابي إلى الشرح المعجمي:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً﴾ [سورة النساء: من آية: الآية 12].

في لفظة "كلالة" يقول ابن هشام: «وقال الشلوبين: حكي لي أن نحويا من كبار طلبة الجزولي سئل عن إعراب "كلالة" من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ فقال: أخبروني ما الكلالة؟ فقالوا: الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن فما سفل، فقال: فهي إذاً تمييز، وتوجيه قوله أن يكون الأصل: وإن كان رجل يرثه كلالة، ثم حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فارتفع الضمير واستتر، ثم جيء بكلالة تمييزا. ولقد أصاب هذا النحوي في سؤاله وأخطأ في جوابه، فإن التمييز بالفاعل بعد حذفه نقض للغرض الذي حذف لأجله، وتراجع عما بنيت الجملة عليه من طي ذكر الفاعل فيها» (ابن هشام ، 2000، صفحة 606/2)

بين ابن هشام أن لمعنى الكلمة المعجمي أثر على الإعراب وأثر في إعطاء أكثر من تفسير إعرابي للنص، ثم بين أن لها ثلاث مسالك إعرابية انطلاقا من دلالة هذه اللفظة، يقول ابن هشام: «والصواب في الآية أن (كلالة) بتقدير مضاف، أي ذا كلالة، وهو إما حال من ضمير (يورث)؛ فـ(كان) ناقصة و(يورث) خبر، وإما خبر فـ(يورث) صفة. ومن فسر الكلالة بالميت الذي لم يترك ولدا ولا والدا فهي أيضا حال أو خبر، ولكن لا يحتاج إلى تقدير مضاف، ومن فسرها بالقرابة فهي مفعول لأجله» (ابن هشام ، 2000، صفحة 607/2).

فالمسلك الأوّل: معنى الكلالة الورثة أنفسهم من غير أصل ولا فرع، على هذا تقدير الإعراب: وإن كان رجل موروثا ذا كلالة، أي وحاله إذ وُرِث أنه ذو كلالة، و(ذا) تحتمل على هذا المعنى أمرين: حال من ضمير نائب الفاعل في يُورث، أو: خبرا.

المسلك الثاني: الكلالة هو الميت الموروث نفسه، فالكلالة حال، على تقدير: وهو كلالة أو خبر، على تقدير: وإن كان رجل موروثٌ كلالةً.

المسلك الثالث: الكلالة هي القرابة، فالمنصوب مفعول لأجله، ومعناه: وإن كان رجل يورث لأجل كلالة.

فالدلالة الإفرادية قد يكون لها أثر في تعدد الإعراب، ومن ثم تصور البنية التركيبية للنص المعرب.

فالوحدات الإعرابية التي تحتمل أكثر من وجه إعرابي توحي بحكم موضعها باحتمالات متباينة عن التركيب في صورته الكلية، فالتغير لا يطول الوحدة الإعرابية فقط، وإنّما يمس كل البنية التركيبية، فتأخذ أكثر من احتمال إعرابي، يقول حسن خميس الملخ: «ويبدو تعدد الأوجه الإعرابية للصورة النحوية تطبيقا عمليا لنظرية معرفية منهجية رياضية تستعمل في جل العلوم، وفي مختلف مجالات الحياة، وهي نظرية الاحتمالات التي تعني اختيارا إحصائيا من مجموعة أكبر من حجم الاختيار المطلوب، كاختيار كرة بيضاء واحدة من مجموعة فيها خمسون كرة بيضاء. والتقييد يمكن أن يكون بأي ميزة ينماز بها المختار، كاللون أو الحجم أو الحالة أو ما شابه» (الملخ، 2007، صفحة 46).

فالإعراب القرآني ذو طبيعة تأويلية في مداخله التحليلية، بمعنى أن استعراض الأنماط التفسيرية يؤدي الدور ذاته الذي تؤديه القسمة التركيبية في استيعاب جميع احتمالات الإعراب، ويمكن تتبع العديد من الأمثلة في إعراب القرآن الكريم في هذا الجانب، فمثلا: كلمة "دأبا" في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[سورة يوسف: من آية 47] . هل هي اسم أم مصدر أم ماذا؟ ومن هنا يرجح الوجه الإعرابي على إحدى الدلالات المعجمية للكلمة المعربة ويكون مرجوحا على دلالة أخرى لها، وهكذا.

4.3 المستوى النحوي التركيبي والتداخل مع الإعراب في النص القرآني:

1.4.3 النظام النحوي والإعراب:

المستوى التركيبي يمثّل المدخل الأساسي للمعنى، فكلما تعدد وجه إعرابي تعدد المعنى تبعا له، ومباحث إعراب النص القرآني تقدّم أنماطا إعرابية متباينة للتركيب الواحد ضابطها دلالة التركيب ودلالة الوحدات المعجمية للنص، والسياق والقراءة والعلاقات الإعرابية الصرفية وتعدد الوظائف النحوية للكلمة المعربة، وعلى المعرب استعراض الأنماط التفسيرية المختلفة، وأي إخلال بذلك يؤدي إلى أن يؤول تقاطع المجالين: النحوي والدلالي القصدي؛ إلى مجموعة خالية.

وعلم الإعراب ذو نظام تحليلي يخضع إلى نظام الوصف النحوي، وهو نظام سيميائي تحليلي وليس تأويلي، لذا فكل تخريج إعرابي للنصوص الشرعية على وفق نظام تأويلي معيّن يؤدي إلى الانحراف، قال الشاطبي في كتابه: "الإفادات والإنشادات" «سُئل أبو العباس بن البنا في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[سورة طه . من الآية63]. لِم لَم تعمل "إنّ" في هذان؟ فقال لمّا لم يؤثّر القول في المقول لم يؤثّر العامل في المعمول، فقال له: يا سيدي إنّ هذا لا ينهض جوابا: فإنّه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إنّ، فقال له: إنّ هذا الجواب نوارة لا تحتمل أن تُحك بين الأكف» (الشاطبي، 1983، صفحة 110)، فهنا قام بتخريج التحليل الإعرابي على وفق نظام

سيميائي غير النظام النحوي فربط بين التفسير النحوي الذي هو عدم إعمال إنّ وبين مقتضى دلالي بحت، فحرّف طبيعة التحليل إلى طبيعة إشارية اشتهر بها الاتجاه الصوفي في تفسير النصوص.

وينزّه المعربون القرآن من الأوجه التي تنبوا عنها بلاغة القرآن وبيانه، يقول أبو حيان في البحر المحيط: «منكبا عن الوجوه التي تنزّه القرآن عنها، مبيّنا أنه مما يجب أن يُعدل عنه وأنه ينبغي أن يُحمل على أحسن إعراب، وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز جميع ما يجوّزه النحاة في شعر الشماخ والطرمّاح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة، والتراكيب القلقة، والمجازات المعقدة» (أبو حيان الأندلسي، 1993، صفحة 103/1)، وفي هذا السياق أبعد أبو حيان وجها إعرابيا أورده الزمخشري لأنّ فيه مخالفة لأولويات نحوية، حيث يقول: «وهذا تعسّف في الإعراب لا يليق بأن يُحمل القرآن عليه؛ لما فيه من التقديم والتأخير، ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة إلى ذلك، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور» (أبو حيان الأندلسي، 1993، صفحة 341/4).

2.4.3 مثال تطبيقي: القضايا التركيبية النحوية في إعراب القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة،: آية 214] .

يقول الفراء: «من قرأ بالرفع لم يعمل حتى لأن الفعل "يقول" بمعنى الماضي والحال فكان جملة و "حتّى" لا تعمل في الجمل، ومن قرأ بالنصب جعله في معنى الاستقبال بسبب تطاوُل الفعل الذي قبلها، فكان في تقدير مفرد، لأنه يكون مع "أنْ" في تقدير المصدر، وحتى تعمل في المفردات» (الفراء، 1983، صفحة 133/1).

ـ المسألة التي يعالجها الفراء: عمل "حتى" فيما بعدها من الفعل، ولها حكمان:

أ ـ عملها في المضارع فينصب الفعل بعدها: ومن قرأ بالنصب جعله في معنى الاستقبال بسبب تطاول الفعل الذي قبلها، فكان في تقدير مفرد، لأنه يكون مع "أنْ" في تقدير المصدر، وحتى تعمل في المفردات.

ب ـ عدم العمل فيرفع الفعل بعدها: من قرأ بالرفع لم يُعمل "حتى" لأنّ الفعل "يقول" بمعنى الماضي والحال فكان جملة و "حتّى" لا تعمل في الجمل.

فاستدعاء الأوجه النحوية التي يتيحها النظام النحوي للغة يسهم بشكل متفاعل في توجيه الكثير من القضايا الإعرابية في إعراب النص القرآني.

4. خاتمة:

النص القرآني متعدد الأساليب اللغوية لذا يتطلب فهمه الدقيق استخدام معرفة لغوية متعددة وهو ما يفسر اشتراك جملة علوم اللغة في توجيه إعرابه، وإعراب النص القرآني هو الممارسة العلمية الواعية للنص القرآني والمؤسسة على علم الإعراب، فهو علم بيان تفسير الكلام الذي يتناول اللفظ والمعنى والمتكلم؛ ولهذا كانت كل العلوم التي تدرس الكلام موردا لإعراب النص القرآني الذي استدعى استخدام معرفة لغوية متعددة وهو ما يفسر اشتراك جملة علوم اللغة في توجيه إعرابه، فاستخدم النحو لتفسير النص نحويا، والصرف للكشف عن البنى الصرفية التي تحتمل أكثر من وجه مما يؤثر في عملية التوجيه الإعرابي، والبلاغة والبيان والدلالة لتوجيه المعنى المراد واختيار الوجه الأنسب بلاغيا وأسلوبيا.

ونوصي ونشجع الباحثين على استكشاف مواطن التداخل بين علوم اللغة كمجال بحث خصب لأصحاب التخصص في الدراسات العليا؛ لأنّ النظر في مواضع التخوم بين العلوم والمعارف هو ما قد يسمح بتقديم الجديد.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

1. أبو إسحاق الشاطبي. (1983). *الإفادات والإنشادات (تحقيق: محمد أبو الأجفان)* (المجلد ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
2. أبو البركات ابن الأنباري. (دون تاريخ). *البيان في غريب إعراب القرآن (تحقيق: بركات يوسف هبود)*. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
3. أبو الفرج ابن النديم. (1997). *الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان* (المجلد ط2). بيروت: دار المعرفة.
4. أبو بشر سيبويه. (1988). *الكتاب كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون* (المجلد ط3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
5. أبو عبد الله القرطبي. (2006). *الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي* (المجلد ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
6. أحمد أبو زكريا ابن فارس. (1979). *مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبد السلام هارون*. بيروت: دار الفكر.
7. أحمد بلحوت. (2004). علم الإعراب في التراث اللغوي عند العرب من القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري، دراسة لسانية تاريخية(دكتوراه دولة). كلية الآداب واللغات، الجزائر: جامعة الجزائر2.

8. أحمد بن يوسف السمين الحلبي. (دون تاريخ). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون(تحقيق: أحمد محمد الخراط)*. دمشق: دار القلم.
9. الأنصاري ابن هشام . (2000). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب)* (المجلد ط1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
10. جلال الدين السيوطي. (2005). *الإتقان في علوم القرآن(تحقيق: مركز الدراسات القرآنية)* (المجلد دون طبعة). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
11. جلال الدين السيوطي. (دون تاريخ). الفتح القريب على مغني اللبيب (مخطوط رقم 238548). دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
12. جمال الدين ابن الحاجب. (1984). *الشافية في التصريف (ضمن مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط)* (المجلد ط3). بيروت: عالم الكتب.
13. جمال الدين الفاكهي. (2008). *مجيب الندا في شرح قطر الندى، تحقيق: مؤمن محمد* (المجلد ط1). عمان: الدار العثمانية.
14. حسن خميس الملخ. (2007). *رؤى لسانية في نظرية النحو العربي* (المجلد ط1). عمان: دار الشروق.
15. شيبة محمد إبراهيم. (1994). شرح كتاب سيبويه لأبي الحسن الرماني (أطروحة دكتوراه). كلية الآداب، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
16. عبد الرحمن الحاج صالح. (2007). *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية*. الجزائر: موفم للنشر.
17. مجد الدين الفيروز آبادي. (2003). *القاموس المحيط، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي* (المجلد ط1). بيروت: دار الفكر.
18. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي. (1993). *البحر المحيط (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين)* (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
19. يحي بن زياد الفراء. (1983). *معاني القرآن (تحقيق: محمد علي النجار وآخرين)* (المجلد ط3). بيروت: عالم الكتب.
20. يوسف بن خلف العيساوي. (2007). *علم إعراب القرآن تأصيل وبيان* (المجلد ط1). الرياض: دار الصميعي.